علماء الغرب الإسلامي وجهودهم في تدوين السيرة النبوية:

ابن عبد البر، ابن حزم، ابن خلدون نماذج

The islamic west scientists and their efforts in writing the Prophetic biography،ibn abdul bar،ibn hazm،ibn khaldoun،models

بوخلوة حسين، جامعة ابن خلدون-تيارت♦ errachidi26@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/06/05 تاريخ القبول: 2023/01/27 تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص باللغة العربية: تهدف هذه الدراسة إلى تبيين اهتمام علماء الغرب الإسلامي بتدوين السيرة النبوية، وتحديد أسباب ودوافع ذلك الاهتمام، من خلال دراسة ثلاث نماذج تم تأليفها في هذا المجال، النموذج الأول هو كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر القرطبي، أما النموذج الثاني فهو كتاب جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي، أما النموذج الثالث والأخير فهو كتاب العبر للمؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون.

تطرقنا في هذه الدراسة إلى الحديث عن مفهوم السير والمغازي والفرق بينهما، وجهود العلماء الأوائل في تدوين السيرة النبوية، ثم التعريف بالعلماء المذكورين كنماذج والتعريف بمؤلفاتهم، عرض أهم عناصر ومميزات المنهج الذي استخدمه كل عالم في كتابه، من خلال عرض محتويات الكتاب وأسباب التأليف واستعراض المصادر التاريخية التي اعتمد عليها وتعامله مع الرواية التاريخية، إسهابا أو اختصارا، ومدى مقارنته للروايات التاريخية ونقدها.

الكلمات المفتاحية: ابن عبد البر؛ ابن حزم؛ ابن خلدون؛ السيرة النبوية؛ مؤلفات.

Abstract: this study aims to find out how the arab mghreb scholars were interested in recording the life of the prophet mohammad (pbuh).and also to determine the motives and reasons for that interest. by studying three models that were written by those

♦ المؤلف المرسل

scholars ،so the first book was written by ibn abd al-barr qurtubi through his book (AL durar fi ikhtisar al-maghazi wa Al-siyar).the second book (Jawami a-sirat)wich was written by ibn hazm Al-andalusi.the third and the last book was written by ibn khaldoun in his book (AL-ibar).so we have presented this study to introduce to you the consepts (ELsirat and ELmaghazi)and to know the difference between them .and also to know the efforts of the first scholarsin recording prophets life then to introduce short information about those scholars and their books.

-next to explain the main elements and characteristics of the methods they have used in their books by explainingthe content and the motivesof writing them.

In addition to mention also the historical sources that those writers deponded on.and how they dealt with these historical stories or sources.

Keywords: ibn abd albar;ibn hazm;ibn khaldoun;prophetic biography;literature.

مقدمة: تعد السيرة النبوية من أولى المواضيع التي شكلت موضوع الكتابة التاريخي عند المسلمين، لقد امتازت هذه التجربة الفريدة من نوعها بالدقة والتميز، كيف لا وهي سيرة سيد الخلق محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، يضاف إلى ذلك اهتمام المسلمين بحفظ سيرة نبيهم، معتمدين على قوة ذاكرتهم، فرووها جيل عن جيل، فكان ذلك أصح ما ورد إلينا من تاريخ الإسلام والمسلمين.

اهتم علماء الغرب الإسلامي بالتدوين في الأنساب والتراجم وسيرة النبي صلى الله عيه وسلم، فما هي أسباب اهتمام المغاربة بالسيرة وما هوا المنهج الذي اتبعوه في تدوينها، وما هي أهم المؤلفات ؟

لقد شكلت الصلة الروحية، وحب المسلمين لنبيهم والرغبة في معرفة أخباره والاقتداء بسيرته، إلى جانب أهمية السيرة العلمية خاصة فيما يتعلق بالعلم الشرعي والرغبة في وضع مؤلفات تدخل ضمن مناهج التدريس للطلبة، وجعلها في المتناول، من

أهم أسباب ذلك الاهتمام. أما المنهج المتبع فقد أجمع المؤرخون على الاختصار والتباين في اعتماد منهج المحدثين في التدوين، المعتمد على الرواية التاريخية سندا ومتنا.

1-مفهوم السير والمغازي:

أ-**مفهوم السيرة:** السيرة بمعنى الطريقة، يقال سار الوالي في رعيته سيرة حسنة، وقد تعني الهيئة، وبه فسر قوله تعالى في سورة طه: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾[1].

والسيرة قد تعني الطريقة والمذهب وكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمودا كان أو مذموما[2]. والسيرة قد تأتي بمعنى السنة، قال الجوهري للهذلي:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها[3].

والسنة في اصطلاح العلماء هي المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا[4]. والسيرة النبوية وكتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك إلحاقا أو تأويلا[5]. وقال الفقهاء، كتاب السير، وسموا الكتاب بذلك لأنه يجمع سير النبي صلى الله عليه وسلم وطرقه في مغازيه وسير أصحابه وما نقل عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك[6]. من خلال مفهوم كل من السنة والسيرة يظهر التداخل الموجود بينهما، فالسنة المطهرة هي من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن مع الوقت اقتصرت السنة على الجانب التشريعي فيما اختصت السيرة النبوية بجوانب

1 -الزَّبيدي مرتضى : تاج العروس، ج12، ط1، دار الهداية، الكويت، 1965م، ص117.الآية 20، سورة طه.

2 - المصدر نفسه، ج26، ص84.

3- البعلي محمد بن أبي الفتح: المطلع في ألفاظ المقنع، ج1، ط1، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1423هـ، 2003م، ص156.

4 - الصرصري سليمان بن عبد القوي: شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد المحسن التركي، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص63.

5 - الزبيدي، مصدر سابق، ج12، ص 121.

6- الأحمد عبد النبي بن عبد الرسول: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج2، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، 2000م.ص140.

متعددة من حياة النبي من قبل مولده، فمولده ومبعثه ودعوته وأحواله مع أصحابه، ومغازيه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

ب-مفهوم المغازي: اضطربت أقوال الدارسين في مدلول كلمتي السير والمغازي وحدهما، أما السيرة فقد عرفناها سابقا بأنها ما يتصل بحياة النبي صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته، وأما المغازي فأخبار الغزوات والسرايا والبعوث بعد الهجرة، وذهب آخرون إلى أن المغازي اسم قديم لكتب السيرة اصطلح عليه أوائل المصنفين، ثم غلبت التسمية بالسيرة منذ أن أسمى ابن هشام تهذيبه لكتاب محمد ابن إسحاق بالسيرة، ثم شاعت التسمية في كتابات المتأخرين[7].

أما موضوع السير والمغازي فالسرد التاريخي لحقبة صدر الإسلام كلها، من قبل البعثة إلى ما بعدها، وما يتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى في حياته وما كان بعد وفاته، وفترة الخلفاء الراشدين إلى مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه[8].

2-نماذج عن المصنفين الأوائل ومؤلفاتهم في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : لقد أولى المسلمون أهمية قصوى لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب: كنا نُعلم مغازي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن. وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا مغازي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بني، هذه مآثر آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها. وكان الزهري يقول في علم المغازي: علم الآخرة والدنيا[9].

تداول المسلمون هذه السير عن طريق الروايات الشفوية إلى أن ظهرت المصنفات وتعددت، سواء كانت مفردة للسير والمغازي، أو في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله مفردة أيضا، أو أضيفت إلى كتب التاريخ العام المؤلفة، ومن هذه

---

7 - محمد يسري سلامة: مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، ط1، دار الندوة للنشر ودار الجبرتي للنشر، القاهرة، 1431م، ص65.

8 - المرجع نفسه، ص66.

9- -ابن منظور جمال الدين الانصاري: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.ج2، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1402ه، 1984م، ص186.

المصنفات، كتاب المغازي لعروة ابن الزبيرت(94ه)، ومغازي ابن شهاب الزهري ت(124)، ومغازي موسى ابن عقبة ت(141ه) وغيرهم [10].

ولعل أقدم سيرة وصلت إلينا كاملة هي سيرة محمد ابن إسحق ت(151ه)، حيث كتبها في ثلاث أقسام أولا المبتدأ، ثم مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم غزواته[11]. ومن أشهر من جاء بعد ابن اسحق، محمد بن عمر الواقدي ت (207ه)، الذي ألف كتاب المغازي، ثم انتشرت دراسات السيرة خلال القرن الثاني الهجري إلى بلدان خارج المدينة، في اليمن والعراق والشام وغيرها من البلاد[12]. ومن المؤلفات التي ظهرت، دلائل النبوة للبيهقي ت(584ه)، وأعلام النبوة للرازي ت(264ه)، وكتاب الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي ت(516ه)، ودلائل النبوة للأصبهاني ت(430ه). كما جرى الاهتمام بالسيرة النبوية وتضمينها كتب الحديث والتاريخ والتراجم، ككتاب أنساب الأشراف للبلاذري ت(279ه)، وتاريخ الطبري ت(310ه)، وتاريخ خليفة ابن خياط ت (240ه)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ت(571ه)، والكامل لابن الأثير ت(630ه)، والمنتظم لابن الجوزي ت(597ه)، وزاد المعاد لابن القيم ت(751ه)، وفتح الباري لابن حجر ت(852ه)[13]. أما مؤرخو الغرب الإسلامي فقد كان لهم اهتمام بتدوين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنعرض نماذجا عن ذلك.

3- التعريف بالمؤرخين ومؤلفاتهم:

3-1- ابن عبد البر القرطبي وكتابه (الدرر في اختصار المغازي والسير):

أ- **التعريف بابن عبد البر القرطبي:** هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (368-463ه)، ولد بقرطبة ورحل في غربي الأندلس وشرقيها، ولي قضاء لشبونة وشنترين وتوفي بشاطبة[14]. طال عمره وعلا سنده وتكاثر

10 - يسري سلامة، مرجع سابق، ص 66.

11 - عبد العزيز الدوري: نشأة التاريخ عند العرب، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 1420ه، 2000م، ص32.

12 - عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص 38.

13 -يسري سلامة: مرجع سابق، صص 145-164.

14 - الزركلي خير الدين: الأعلام، ج8، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص240.

عليه الطلبة وجمع وصنف ووثق وضعف[15]. كان إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث؛ وقال الباجي أيضاً: أبو عمر أحفظ أهل المغرب. وقال أبو محمد ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه[16]. وكان قائماً بعلم القرآن، من الحفاظ المؤرخين، بصيرا بالفقه والمعاني، له بسطة كبيرة في علم النسب والأخبار[17].

ترك القرطبي الكثير من المصنفات في فنون مختلفة نذكر منها: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، وكتاب(الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار)، شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه، وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتاباً جليلاً مفيداً سماه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، وله كتاب (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله)، وكتاب (الدرر في اختصار المغازي والسير)، وكتاب (العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم)، وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم، وكتاب(بهجة المجالس وأنس المجالس)[18]. وله كتاب (المدخل في القراءات)، وكتاب (الانتقاء في فضائل الثلاثة فقهاء)، وكتاب (الإنباه على قبائل الرواه، التقصي لحديث الموطأ)، (الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف)، (نزهة المستمعين وروضة الخائفين)، (ذكر التعريف بجماعة من الفقهاء أصحاب مالك)[19]. وما يهمنا من هذه المؤلفات كتابه في السيرة النبوية، الدرر في اختصار المغازي والسير.

ب- كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير:

ب1-مضمون الكتاب: أهمل ابن عبد البر في كتابه "المختصر" الحديث عن المرحلة المتعلقة بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعض الأحداث التي حرص أرباب السير على ذكرها، والتي سبقت مولده بوقت يسير، كمحاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة، حلف الفضول وحرب الفجار، وبناء الكعبة وحفر بئر زمزم وغيرها، لقد عد بن عبد البر

15 - الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، بإشراف، الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج18، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، 1985م، ص 153.

16 - ابن خلكان شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، ط1، دار صادر، بيروت، 1972م، صص 66-67.

17 - الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص156.

18 - ابن خلكان، مصدر سابق ج7، ص67.

19 - الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص140.

المعلومات التي ذكرها في كتابه مما يجب الوقوف عليه ولا يليق جهله، وقد اعتمد على الاختصار، معتبرا ما جاء به كافيا مغنيا عما سواه[20].

ابتدأ ابن عبد البر كتابه ''المختصر'' بمبعثه صلى الله عليه وسلم، وقد يرجع ذلك إلى تعرضه لأخبار مولده في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، فذكر نسبه ومولده وحياته مع والدته آمنة، وجده عبد المطلب وعمه أو طالب، وزواجه من خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها[21]. وقد صرح هو بذلك حيث نجده يقول: هذا الكتاب اختصرت فيه مبعث النبي وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه، وسيرته فيها لأني ذكرت مولده وحال نشأته وعيونا من أخباره في صدر كتابي في الصحابة، يقصد الاستيعاب، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته[22].

ب2- محتويات الكتاب: قسم ابن عبد البر كتابه إلى أبواب، فالباب الأول ذكر فيه مبعثه ونزول الوحي عليه، أما الباب الثاني فقد ذكر فيه دعوة الناس إلى الدين الجديد وأول من آمن به، وما لقي هو وأصحابه من أذى، فذكر أسماء أشد الناس أذى للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم تعرض إلى هجرة الحبشة. كما خصص بابا لحصار المشركين لبني هاشم في شعاب مكة، واجتماعه بالأنصار وبيعتهم له وعزمه على الهجرة إليهم، ثم خصص بابا للهجرة النبوية وأحوال النبي في المدينة، ثم بابا في مغازي الرسول وبعوثه وما تخللها من أحداث، وعقد بابا أخيرا لذكر وفاته صلى الله عليه وسلم[23].

ب3- مصادر الكتاب: اعتمد ابن عبد البر على مغازي موسى بن عقبة، وسيرة ابن اسحق برواية ابن هشام ورواية البكائي، وقد ذكر أنه يملك روايات عن مغازي الواقدي و أبي بكر بن أبي خيثمة، لكن التعويل كان على الكتابين الأولين، وقد حرص على الاختصار والاقتصار على العيون، دون الحشو والتخليط، ورغم ذلك فقد اعتمد على الإسناد في عرض لرواياته، وقد أورد طرقه في الرواية حيث يقول:

20- يوسف ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق شوقي ضيف، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، 1991م، ص27.

21 - المصدر نفسه، صص 27-29.

22 - ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1991م، ص 27.

23 - ابن عبد البر، مصدر سابق، صص336 وما بعدها.

ما كان في كتابنا هذا عن ابن اسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن السلام الخشني عن محمد بن عن ابن هشام وابن زياد البكائي عن ابن اسحق.

وقراءة على عبد الله بن محمد بن يوسف عن ابن مفرج، عن ابن الأعرابي عن العطاردي عن يوسف بن بكير عن ابن اسحق وعلى عبد الوارث بن سفيان عن عبيد بن عبد الواحد البزار عن أحمد بن محمد بن أيوب عن إبراهيم بن سعد عن ابن اسحق، وما كان فيه عن موسى بن عقبة، فعلى الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد عن قاسم بن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس عن يعقوب عن ابن فليح عن موسى بن عقبة.

3-2- ابن حزم وكتابه جوامع السيرة: يعد هذا التأليف، الكتاب الثاني من حيث الأهمية في تدوين السيرة النبوية في بلاد المغرب.

أ-**التعريف بابن حزم(384 - 456 هـ):** هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده، وأصله من فارس، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه[24]. ولد بقرطبة سنة 384هـ وتوفي سنة 456هـ[25].

قرأ على يد العديد من العلماء، فقد سمع في سنة أَربع مائة وبعدها من طائفة منهم: يحي بن مسعود بن وجه الجنة، صاحب قاسم بن أصبغ، فهو أعلى شيخ عنده ومن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور، ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي وحمام بن أحمد القاضي، ومحمد بن سعيد بن نبات وعبد الله بن ربيع التميمي وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد، وعبد الله بن محمد بن عثمان، وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، وعبد الله بن يوسف بن نامي و أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ .وينزل إلى أن يروي عن أبي عمر بن عبد البر، وأحمد بن عمر بن أنس العذري. وأجود ما عنده من الكتب، سنن النسائي، يحمله عن ابن ربيع عن ابن الأحمر عنه. وأنزل ما عنده صحيح مسلم، بينه وبينه خمسة رجال، وأعلى ما رأيت له، حديث فيه بينه وبين وكيع ثلاث أنفس،

24 - ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص325.

25 - ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1374هـ، 1995م، ص 396.

حدث عنه ابنه أبو رافع الفضل، وأبو عبد الله الحميدي، ووالد القاضي أبي بكر ابن العربي وطائفة، وآخر من روى عنه مروياته بالإجازة، أبو الحسن شريح بن محمد.[26]

نال ابن حزم احتراما واعترافا بالفضل من قبل الكثير من العلماء، فقد كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة، التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة، وجمع من الكتب في علوم الحديث.[27]

قال ابن بشكوال في حقه: كان أبو محمد، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفةً، مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار. قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي: ما رأينا مثله، فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه[28] .

مؤلفاته: قال ابنه الفضل بن علي أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[29]. فمن أشهر مؤلفاته ''الفصل في الملل والأهواء والنحل'' وله " المحلى " ، و" جمهرة أنساب العرب " و"الناسخ والمنسوخ " و " حجة الوداع " و " جوامع السيرة " ، و " التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه " و " مراتب العلوم " و " الإعراب " و''ملخص إبطال القياس'' ، و " فضائل الأندلس " و " أمهات الخلفاء " و " رسائل ابن حزم " و " الأحكام لأصول الأحكام " ، و " إبطال القياس والرأي " و " المفاضلة بين الصحابة " ''رسالة مما اشتمل عليه كتاب الفصل " المتقدم ذكره، و " مداواة النفوس " ، و " طوق الحمامة "[30].

ب- جوامع السيرة لابن حزم:

---

26 - الذهبي، مصدر سابق، ج13، صص 373، 374.

27 -ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص325.

28 - المصدر نفسه، صص 327-328.

29 - ابن بشكوال، مصدر سابق، ص 395.

30 - الزركلي، مرجع سابق، ج4، صص 254-255.

ب1- قيمة الكتاب العلمية: يعتبر كتاب ابن حزم هذا أقل دقة منهجية من كتاب ابن عبد البر،وهذا لعدة ملاحظات من بينها، أن ابن حزم لم يقدم لكتابه بأي شكل من المقدمات، وفوق ذلك فلم يذكر أسباب التأليف ولا سنته، ولم يذكر المصادر التي اعتمد عليها، ومن أهم الملاحظات أنه أسقط الإسناد من رواياته التاريخية، ولا نجده يتحدث بروايته هو لهذه الأحداث عن طريق سند متصل إليه.كما أن أغلب الكتاب جاء رواية واحدة كأنها تقرير، فتقل الروايات المتعددة والمقارنة والمفاضلة بينها.

ولعل السبب فيما سبق، هو أن ابن حزم أراد إنجاز مقرر مختصر لطلبته يعتمدون عليه، للوقوف على ما رآه هاما ولا يمكن جهله من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لذا فقد جاءت سيرة ابن حزم في 160 صفحة، في حين جاءت سيرة ابن عبد البر في 351 صفحة، وربما أراد أن يضع بصمته في هذا الباب بوضع تأليف خاص به، على طريقة ابن عبد البر، ولنا أن نتساءل هل كان ابن حزم يكتب بالاعتماد على ذاكرته القوية مما حفظه من السيرة النبوية، أم أنه نقل عن الكتب المشهورة في السير والمغازي، وهل اعتمد ابن حزم في كتابه على كتاب الدرر لابن عبد البر، خاصة إذا علمنا العلاقة الحسنة التي كانت تربط الشيخين،وأن ابن حزم أخذ عن ابن عبد البر مروياته في علوم مختلفة.

ب-2- محتويات الكتاب: بدأ ابن حزم كتابه بالحديث عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد لذلك بابا، ثم تحدث عن مولده مبعثه ووفاته، وعند ابن عبد البر فقد أورد وفاته صلى الله عليه وسلم في آخر كتابه الدرر،وتحدث أيضا عن معجزات الرسول حيث أورد 37 معجزة، وتحدث عن حجه واعتماره وغزواته وبعوثه، ثم ذكر صفاته وأسماؤه وأمراؤه وكتابه ورسله ونساؤه وأولاده ثم أخلاقه، وفي فصل سماه "جمل من التاريخ" أورد أخبار الوحي و أول من آمن به وما لقوه من أذى من قريش، ثم الهجرة إلى الحبشة ثم حصار المؤمنين من قبل الكفار في شعب مكة ثم الإسراء والمعراج، ثم قدوم الأنصار إلى مكة وبيعة العقبة والهجرة النبوية ولم يعقد لها بابا إنما جاءت مضمرة، وفرض الزكاة، ثم شرع في الحديث عن الغزوات بشيء من التفصيل وكذا بعوثه.

اهتم ابن حزم بذكر الشخصيات التي يقتضيها كل حدث،فذكر أول من آمن ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ومن بايع عند العقبة، وذكر أسماء من حضر بعض الغزوات و من استشهد فيها ومن قتل من الكفار، ثم ذكر حجة الوداع ووفاته صلى الله

عليه وسلم[31]. وأحداث السيرة تختلف عند ابن حزم فأحيانا يختصر الخبر اختصارا شديدا في حين يذكر أخبارا أخرى ويقف عند تفاصيلها.

3-3- السيرة النبوية من خلال كتاب العبر لابن خلدون:

أ- **التعريف بابن خلدون**(732 - 808 هـ) : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الاشبيلي الحضرمي، ولد بتونس عام 732ه تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه على يد والده وغيره من العلماء ،وقد استفاد كثيرا من حملة السلطان المريني أبي الحسن على تونس، حيث احتك بمن رافقه من العلماء ومن أشهرهم محمد بن إبراهيم الآبلي وغيره[32].

ولما غزى السلطان أبي عنان تونس ثم رجع إلى فاس، استدعى ابن خلدون وضمه إلى مجلسه العلمي واستعمله في كتابته، ثم تولى كتابة السر والإنشاء وولاية المظالم للسلطان أبي سالم، ثم استعفى ورحل إلى الأندلس زمن سلاطين بني الأحمر، وهناك التقى لسان الدين ابن الخطيب، ولما ساءت العلاقة بينهما رحل ابن خلدون إلى بجاية عند السلطان الحفصي أبو عبد الله عام 766ه فتولى شؤون الدولة والخطابة بجامع القصبة، ولما قتل أبي عبد الله استقر ابن خلدون عند بني مزني في بسكرة، حيث اتصل به السلطان أبي حموا الزياني لتولي بعض شؤون دولته ،فأرسل أخوه يحي نائبا عنه[33].

وفي سنة 774ه انتقل إلى فاس وخدم السلطان المريني عبد العزيز'ثم انتقل إلى الأندلس من جديد عام 776ه، حيث التقى ابن الخطيب ثانية، إضافة إلى الكاتب عبد الله ابن زمرك، وأمام شكوك بني مرين في نوايا ابن خلدون فقد قاموا بالضغط على بني الأحمر، فقاموا بطرده إلى تلمسان، ومنها فر إلى أولاد عريف ونزل بقلعة أولاد سلامة حيث شرع في كتابة مؤلفه الشهير المقدمة، ثم ارتحل إلى تونس عند السلطان الحفصي أبي العباس عام 780ه، وفي سنة 784ه غادر تونس وتوجه إلى الإسكندرية بحرا واستقر

31 - ابن حزم علي: جوامع السيرة النبوية. ضبط وتصحيح عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه، 2002م، صص 159-160.

32 - ابن خلدون:رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425ه، 2004م، صص27-40.

33 - رحلة ابن خلدون، صص 67-99.

في مصر، في عهد السلطان الظاهر برقوق حيث تولى العديد من الوظائف كالقضاء والتدريس والسفارة إلى أن توفي عام 808هـ[34].

ترك ابن خلدون كثيرا من المؤلفات منها كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، وكتاب (شرح البردة)، وكتاب في (الحساب)، ورسالة في (المنطق) ومن كتبه (شفاء السائل لتهذيب المسائل).[35]

ب- التاريخ والمنهج التاريخي عند ابن خلدون: يعرف عن ابن خلدون أنه أحدث ثورة في علم التاريخ ومنهجه، فهو قد سبق علماء الغرب ومفكريهم في الإشارة إلى الصبغة العلمية للتاريخ، وأنه ليس مجرد سرد للأحداث، إنما هو تحقيق وتدقيق إذ يقول في مقدمته''اعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم والأنبياء في سيرهم والملوك ي دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج لمآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت[36].

وينتقد ابن خلدون الكتابة التاريخية القائمة على مجرد النقل دون نقد إذ يقول:''وكثيرا ما يقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم يها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها على أشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فتاهوا في بيداء الوهم والغلط[37].

لقد انتقد الكثير من الباحثين ابن خلدون، لأنه لم يطبق قوانينه التي وضعها في الكتابة التاريخية على كتابه العبر، فلم يكن يختلف عن المؤلفات التاريخية[38]، وهناك من ذهب خلاف ذلك واعتبر ابن خلدون قد طبق منهجه التاريخي على كتابه،

34 - المصدر نفسه، صص 79-274.

35 - الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 330.

36 - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق محمد بن عبد الله الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 1425هـ، 2004 م، ص 92.

37 - المصدر نفسه، ج1، ص92.

38 -حسين عاصي: ابن خلدون مؤرخا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1991 م، ص175.

وحتى يفهم ذلك فعلى القارئ أن يكون له إلمام بالقواعد التي قررها ابن خلدون في مقدمته، وسيجدها مجسدة في ثنايا كتابه.

ج- القيمة العلمية لكتاب ابن خلدون في السيرة: الحقيقة من خلال قراءة ما كتبه ابن خلدون حول السيرة النبوية لا نجد اختلافا جوهريا بين ما كتبه هو وما كتبه من سبقه في السيرة النبوية، اللهم إلا توسعه في الحديث عن العرب وأنسابهم، وإبداء بعض المواقف ووجهات النظر حول بعض القضايا التاريخية ولكنها قليلة، ومن ذلك موقفه من أول من سن رحلة التجارة المعروفة برحلة الشتاء والصيف، أو موقفه من بروز العرب ودورهم خاصة في مواجهة الفرس بعد موقعة ذي قار. أو إحجامه عن ذكر حادثة الإفك التي اتهمت فيها أمنا عائشة رضي الله عنها زورا وكذبا بكل تفاصيلها، وهذا ما يعطينا صورة عن عاطفة الحب والتقدير لابن خلدون للنبي صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة رضي الله عنها ويمكننا أن نورد الملاحظات التالية:

د- **مصادر ابن خلدون** : عمد ابن خلدون في الغالب إلى ذكر أسماء المؤلفين الذين نقل عنهم، ولم يذكر عناوين مؤلفاتهم التي نقل عنها إلا فيما ندر، فقد نقل عن ابن اسحق وابن هشام والواقدي و النسابة الشهير هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت204ه من خلال كتابه جمهرة النسب، كما نقل عن تهذيب التاريخ لعلي بن عبد العزيز الجرجاني، ونقل عن الطبري، وتاريخ البيهقي ت 458 و ابن حزم وابن عبد البر القرطبي، كما نقل عن أبي الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني.

ويمكن إبراز خصائص الكتابة في السيرة عند ابن خلدون في العناصر التالية:

1- أسهب ابن خلدون في الحديث عن العرب ومواطنهم وأنسابهم وملوكهم وممالكهم قبل الإسلام .

2- لم يعتمد ابن خلدون على الإسناد فيما رواه من أخبار، فجاءت أغلب رواياته غير مسندة بما ي ذلك أخبار السيرة النبوية.

3- يمتلك ابن خلدون ملكة لغوية قوية وأسلوب رصين في الكتابة، كما اعتمد في ذكر أخباره على عيون من الشعر العربي.

4- اهتمام ابن خلدون بذكر تواريخ الأحداث وضبطها، كما اهتم بضبط المواقع الجغرافية .

5- استشهد كثيرا بالسور القرآنية والأحاديث النبوية، لكنه لم يذكر مواضع الأحاديث ولا سند رواتها ولا درجة صحتها.

6- لم تختلف هيكلية أحداث السيرة النبوية عن باقي كتب السيرة النبوية.

7- جاءت أخبار السيرة النبوية عند ابن خلدون مختصرة، وربما رجع ذلك لعدم التفاته إلا لما صح من الروايات.

8- تطرق ابن خلدون في ثنايا السيرة إلى بعض قضايا الشريعة كفرض الزكاة والصدقات وتحويل القبلة والزيادة في صلاة الحضر.

9- وضع لأحداث السيرة عناوين رئيسة ولم يقسمها لأبواب أو فصول.

10- جاء هيكل السيرة النبوية عند ابن خلدون كما يلي:

أ- الإسهاب في ذكر أنساب العرب فقد ذكر العرب العاربة كعاد وثمود وغيرهم ومواطنهم وملوكهم وذكر أنبياءهم،وضمنها أخبار النبي إبراهيم عليه السلام، اعتمد فيها على ما ورد في القرآن الكريم والتفاسير، وما نقله المفسرون عن التابعين والصحابة رضوان الله عليهم أو ممن هاجر إلى الإسلام من أحبار اليهود، ولا يلتفت إلى غير ذلك[39]. والعرب المستعربة فذكر أنسابهم وأيامهم وملوكهم وبعض الدول التي كانت على عهدهم[40] ، ثم العرب التابعة للعرب فذكر أنسابهم وممالكهم وما كان لهم من الملك قبل الإسلام وبعده[41].

ب- ذكر الأوس والخزرج أبناء قيله ملوك يثرب ودار الهجرة وما كان فيها من أحداث.

ج- ذكر ولد عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك.

د- أخبار قريش وملكهم بمكة قبل الإسلام.

ت- ذكر أمر النبوة والهجرة وما كان من اجتماع للعرب على الإسلام بعد الرفض والحرب، فذكر حالة الضعف التي كانت العرب عليها، وبعض الأحداث قبل النبوة كحلف الفضول ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، وبداية الوحي ثم الدعوة السرية والعلنية، وما

---

39 - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ج2، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ، 2000 م، ص 21.

40 - المصدر نفسه، ج2، ص 52.

41 - المصدر نفسه، ج2، ص 287.

لقيه صلى الله عليه وسلم هو وأتباعه من الأذى من قبل المشركين، وما عاصرها من أحداث، ثم بيعة العقبة الأولى والثانية فهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

ث- ذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أسبابها وأماكنها الجغرافية، وتواريخها وعدد المقاتلين من الجانبين، وأسماء شهداء المسلمين وقتلى المشركين، وأسماء الأسرى، وقيمة الغنائم وتكلم في ثنايا ذلك عن صلح الحديبية، وعرض الإسلام على الملوك عربا وعجم، والوفود التي جاءت إلى المدينة معلنة إسلامها، ذكر حجة الوداع وعمال النبي صلى الله عليه وسلم على الأقاليم، وبعض الأخبار عن المرتدين ثم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فوفاته.

4- خاتمة: اهتم علماء الغرب الإسلامي بتدوين السيرة النبوية، على غرار اهتمام إخوانهم المشارقة بذلك، وقد كانت الأندلس مركز الانطلاق الأول، فألف ابن عبد البر كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير، حيث أجاد ابن عبد البر في هذا الكتاب، فجاء جامعا متوسطا بين الاختصار المخل والتطويل الممل، مقتصرا على عيون المصادر التاريخية في مجال السيرة النبوية ،وما صح من الرويات التاريخية، لذلك نعتقد أن هذا الكتاب هو أحسن ما ألف في مجال السيرة بالغرب الإسلامي ،وقد يرجع ذلك إلى تمكن المؤلف من علم الحديث.

كما ألف ابن حزم كتابه جوامع السير، وقد جاء هذا الكتاب مختصرا، وأقل جودة من سابقه فلم يذكر أسباب التأليف والأهم من ذلك ان رواياته التاريخية لم تأتي مسندة كما عند ابن عبد البر.

أما ابن خلدون فعلى الرغم من اشتهاره في الحرص على الدقة واستخدام البصيرة والتثبت وهو ما تضمنته مقدمته الشهيرة،فلم يطبق تلك القواعد الرصينة على لا على الجزء المخصص للسيرة فحسب بل على كتابه العبر ككل. ورغم ذلك تظهر قوة ابن خلدون في الحفظ و جمع الروايات التاريخية المختلفة،ومناقشة بعض الأحداث التاريخية بلغة عصره الذي عاش فيه،كما اعتمد ابن خلدون على منهج المتقدمين من ذكر أنساب العرب إى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي العموم فقد اعتمد هؤلاء العلماء على منهج يقوم على الاختصار وعدم التطويل بالتركيز على ما صح من الروايات التاريخية.

إن التدوين في السيرة يعكس الترابط الروحي المتين بين أطراف العالم الإسلامي، مشرقا ومغربا، عن طريق الشعور بالانتماء إلى الدين الواحد، واللغة الواحدة.

- قائمة المصادر والمراجع

1-ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس.تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ، 1995م.

2- البعلي محمد بن أبي الفتح :المطلع في ألفاظ المقنع. جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط1، 1423هـ، 2003م .

3- ابن حزم علي: جوامع السيرة النبوية .ضبط وتصحيح عبد الكريم سامي الجندي، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ، ، 1424هـ، 2002م.

4-حسين عاصي:ابن خلدون مؤرخا. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1991م.

5- خير الدين الزركلي:الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002.

6- ابن خلدون:ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، ، 1421هـ، 2000م.

7- ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون.تحقيق محمد عبد الله الدرويش، دمشق، دار يعرب، ،ط1 ، 1425هـ، 2004م.

8- ابن خلدون:رحلة ابن خلدون.تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ، 2004م.

9—الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت، دار الهداية، ط1 .1965 م.

10- شمس الدين أحمد ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، ، 1972م.

11- شمس الدين الذهبي:سير أعلام النبلاء.تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ، 1985م.

12- الصرصري سليمان بن عبد القوي: شرح مختصر الروضة.تحقيق عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ، 1987م.

13- ابن عبد البر يوسف:الاستيعاب في معرفة الأصحاب.تحقيق عادل مرشد، عمان، الأردن، دار الأعلام، ط1، 1423هـ، 2002م.

14- ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير. تحقيق شوقي ضيف، ط2، مصر، دار المعارف، 1991م.

15- عبد العزيز الدوري:نشأة التاريخ عند العرب. الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط1، 1420 هـ ، 2000م.

16- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م.

17- محمد يسري سلامة:مصادر السيرة النبوية ومقدمة في تدوين السيرة، القاهرة، دار الندوة للنشر ودار الجبرتي للنشر، القاهرة، ط1، 1431هـ.

18- ابن منظور الانصاري جمال الدين: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، 1402 هـ ، 1984م.